

تاريخها وتقاليدها، وتغمر نفسها في حياة ليس متفقة مع هذا التاريخ وهذه التقاليد، فإنها تكون أمة مقلدة أو مسوقة، سواء أشعرت بذلك أم لم تشعر، وقد كانت سياسة المتلين - كما هو الشأن فيهم دائما - أن يباعدوا بيننا وبين تراثنا الفكري، وتاريخنا العلمي القومي، من حيث كوننا أما إسلامية، فكانت مناهج التعليم توضع لتخريج موظفين، وكانت الأمة محرومة من الدراسة العميقة المتصلة بهذه الناحية إلا قليلا، بل كانت محرومة حتى من تعليم أبنائها أوليات الأحكام الشرعية والعقائد التي يقوم عليها الدين، فما كان يدرس فيها إلا بعض ما يتصل بالآداب والأخلاق ومبادئ العبادات، كان هذا منطق الاحتلال والمحتلين ومن جرى في دائرتهم من المشرفين على التعليم، ولكن هذه السياسة مع الأسف الشدي بقيت في مصر، ولم تجد من القائمين بوزراة المعارف في عهد ما تحمسا لتبديلها والتخلص منها، وإهداء الأمة أسساً أخرى تبنى عليها تعليمها وثقيفها باعتبارها أمة حرة لها تقاليد، ولها ماض في العلم والرأي، لها فكرة وشخصية

وكلما نادى مناد بهذا حسبوه متعصباً للدين أو اللغة، أو حريصاً على إيجاد متنفس لخرجي الأزهر، مع أن الأمر - وإن كان ذلك بعض بواعثه أحيانا أجل - من أن ننظر إليه هذه النظرة.

نحن أمة تريد أن تكون جيلاً مؤمناً بنفسه، قويا بدينه وخلقه، متصل القلب بماضية، مشبوب العاطفة بمفاخره، فإن ذلك هو الأساس الطبيعي الذي تقوم عليه أمة من الأمم، أو هو على الأقل ركن هام في هذا الأساس، وإننا تقوم عليه أمة من الأمم، أو هو على الأقل ركن هام في هذا الأساس، وإننا لنشهد في عصرنا الحاضر جميع الأمم الأوربية تتمسح في التاريخ اللاتيني، وتتشبث بثقافات القديمة، فإذا لم يكن لأحدها حظ منها، حاولت أن تزعمه منحدرًا إليها عن عمومة أو خؤولة، بل أقول: إننا نشهد الآن أفكاراً ومبادئ في السياسة والحكم والنظام تحترق وتتجادل في عنف وقوة لتفرض نفسها على العالم، فما بالنا نحن وأفكارنا أصيلة عريقة نعرض عنها، ونتخلى عن احتضانها، ونذوب في غيرها؟

أنا لا أدعو وزراة المعارف إلى اقتباس المنهاج الأزهرى لمدارسها الابتدائية أو الثانوية، ولكنى